السيد محسن الأمين العاملي
(١٢٨٤ - ١٣٧١هـ)
(١٨٦٧ - ١٩٥٢م)

الدكتور شاكر الفحام

الجانب الأدبي

إن من يتتبعُ سيرة السيد محسن الأمين وأعمالَه الخيرة ، ويتبينُ طريقته التي التزمها نهجاً في حياته ، ويطالعُ مؤلفاته ومقالاته ، وما أكثرها وما أنفعها ، لا يملك إلا أن يُكْبر هذه العبقريةَ الفذَّة التي اجتمع لها العلمُ

(*) ألقيت هذه الكلمة في الحفل الذي أقيم في مكتبة الأسد يوم ٢١ شوال ١٤١٢هـ/٢٢ نيسان ١٩٩٢م ، في الذكرى الأربعين لرحيل العلامة الكبير والأستاذ الجليل السيد محسن الأمين العاملي .

وقد تناولت فيها أدب الفقيد رحمه الله وأغدق عليه سحائب رضوانه .

(**) تجد ترجمة السيد محسن الأمين وأخباره في كتابه : الرحيق المختوم ١ : ٣٣٩ – ٤٠٧ (دمشق – ١٣٣٣هـ) ، ٢ : ١٣٩ – ١٦٢ (دمشق – ١٣٤٨هـ) ، وكتابه : أعيان الشيعة ١٠ : ٣٣٣ – ٤٤٦ (بيروت – ١٩٨٦م) ، وأحسن الوديعة في تراجم مشاهير مجتهدي الشيعة للسيد محمد مهدي الموسوي ٢ : ٢٨٠ – ٢٨١ (النجف الأشرف – ١٩٦٨م) وأحسن الأثر للشيخ صالح الكاظمي : ٣١ – ٣٦ (بغداد – ١٩٣٣م) ، ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج١٧ : ٥٢٨ – ٥٣٤ ، ٥٥٠ – ٥٥١ ، مج٢٧ : ٦١٩ – ٦٢٣ ، مج٢٩ : ٤٤٢ – ٤٥٨ ، مج٣١ : ٤٨٣ – ٤٨٦ ، وأعيان الشيعة ٨ : ٢٩١ ، وانظر بقية المراجع في الأعلام للزركلي ٥ : ٢٨٧ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٨ : ١٨٣ – ١٨٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الواسعُ الغزير والاستقامةُ في السلوك والعمل ، والانقطاعُ إلى الإصلاحِ والإرشاد ، ويتهدّى إلى الأسباب التي رفعت السيد الأمين ليكون منارةً هاديةً تتشوّفُ إليها الأبصار .

لقد وقف نفسه طَوال حياته يسدّد ويقوّم ، ويعلّم ويهدي ، ويدعو إلى وحدةِ القلوب واجتماعِها على المحبة والخير . لم تَعُقْه العقبات ، ولم تثنه الصعاب ، بل زادته عزماً وتصميماً على السير قدماً حتى يبلغ هدفه المامول[1] .

إننا ونحن نجلو اليوم جوانب من سيرة هذا العالم الكبير ، والصالح المصلح لنزدادَ معرفةً به ، وتقديراً لجهوده ، وإحاطةً بالمهمة الرفيعة التي اضطلع بها ، لا يفوتنا أن نرمي إلى غرضٍ ثانٍ ، هو تقريب هذه السيرة إلى الأجيال الجديدة ، تجدُ فيها القدوة والأسوة ، فتنصرفُ إلى العلم ، تبذلُ في سبيله كل جهد مستطاع ، وتنهلُ من معينه ما يُسْعفها لترقى بالوطن درجات وترفعَ من طاقاته وقدراته ، ثم تهيبُ بها هذه السيرةُ المباركةُ أن تتمسك بالقيم والمبادئ ، وتتعلقَ بالفضائل والمُثُل ، فترنوَ بأبصارها إلى معالي الأمور ، وتتجنبَ سَفْسافها .

* * *

ولد السيد محسن الأمين في حدود سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) بقرية شقرا التابعة لناحية هونين من أعمال مرجعيون ، وهي من قرى جبل عامل . وبدأ تعلمه في مسقط رأسه لينتقلَ من بعدُ إلى مدارس جبل عامل ، ويقرأ على علمائها ، وقد جدَّ في التحصيل حتى لان له عَصيُّ العلوم . وكان يتكئ على نفسه في قراءة العلوم حين لا يجدُ المدرسَ المسعفَ المساعد . ومما قرأه بنفسه في أواخر هذه المرحلة من التعليم شرحُ نهج

---

(١) أعيان الشيعة ١ : ٨٦ – ٨٧ (نصيحة مهمة) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البـلاغة لابن أبي الحديد . وبدأ التـأليفَ في تلك المرحلة المبكرة من حياته ، وقال الشعر . ولما ملأ عِيابَه مما أخذ عن العلماء العامليين وجَّه همَّه إلى الرحلة في طلب العلم ، شـأن السـلف الصالح ، فقصد النجف الأشرف سنة ١٣٠٨هـ (١٨٩١م) ، وقرأ على علمائه الفضلاء ، فلما بلغ مراده ، ونال بغيته ، غادر النجف إلى دمشق سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) ليتخذها منزلاً ومقاماً . ونصب نفسـه للتعليم والتأليف والهداية ، وأنشـأ المدرستين المحسنية واليوسفية ، إلى جانب جميعة الإحسان ، وجمعية الاهتمام بتعليم الفقراء والأيتام .

وكان ، رحمه الله ، منهوماً بالعلم ، مشغوفاً بالمطالعة ، يصف أيام مقامه بالنجف فيقول : « كنتُ فيها مكباً على المطالعة والمراجعة والقراءة والتدريس والإفادة ، والتصنيف والتأليف ، ليلي ونهاري ، معرضاً عما سوى ذلك إلا بقدر الضرورة .... موجهـاً إلى تحصيـل العـلم همةً أعلى من الضُـراح ، وعزمةً أمضى من بيض الصفـاح »[٢] وظلَّ ذلك دأبه وديدنه طَوال حياته ، وقد تحدَّث عن حبه للعلم وتبتُّله في محرابه في غير موضع من كتبه[٣] . وقال في صفة الكتاب :

رضـيتُ بـالوحـدة في منـزل ... ليس جليسي فيـه غيرَ الكتابْ[٤]
أَكْرِمْ بـه من صـاحبٍ صـادقٍ ... يَهْدي إلى نهج الهدى والصوابْ
بصحبتـي إيـاه في غـربتـي ... وموطني قـد لذَّ عيشـي وطـابْ

---

(٢) الرحيق المختوم ١ : ٣٤٨ ، والضُّـراح ، بضم الضـاد : بيت في السماء حيال الكعبة .

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٢٧ : ٦٢١ ـ٦٢٣ ، الرحيق المختوم ١ : ٣٥١ ، ٢ : ١٤٠ ـ ١٤١ ، أعيـان الشيعـة ١ : ١٤/ع٢ ، ١٠ : ٣٣٤/ع١ ، ٣٣٨/ع١ ، ٣٦٩/ع٢ .

(٤) الرحيق المختوم ١ : ٢٤١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وجعل مطلع كتابه : (معادن الجواهر) بيانَ فضل العلم والتأليف والكتابة . ووصف نفسه فقال :

أنـــا الذي في طـــلاب الـ ـــعـــلوم أفنيتُ عمـــري[٥]
وليس لي من جـــــليسٍ إلا دواتي وسِـــفْـــري
وفي يمـــيـــنـــي يَـــراعٌ في الطِـــرْس مـــا زال يجـــري

وكان ، رحمه الله ، كما وصف نفسه ، يواصل الكتابة والتأليف ، فغزر نتاجه ، وكثرت كتبه ومصنفاته . يقول عن نفسه : « له مؤلفات كثيرة ، وبعضها قد طبع مرتين أو مراراً ، وبعضها قد ترجم إلى غير العربية وطبع ، وأكثرُها يزيد على ٥٠٠ صفحة إلى ٨٠٠ صفحة . وحسبك أن يكون أعيان الشيعة يبلغ مئة مجلد .... ولو قُسِم ما كتبناه تسويداً وتبييضاً ونسخاً وغيرها على عمرنا لما نقص كل يوم عن كراس ، مع عدم المساعد والمعين غيرَ اللهِ تعالى »[٦] .

وكان يتحمـل الشـدائدَ والمشـاقَّ ، ليبـلغ مشتهـاه في التحقيق والتدقيق ، ويكفي أن نشير إلى رحلاته ، ولا سيما الرحلة العراقية الإيرانية ، لنتبين مدى ما قدّم وما بذل ليصل إلى طَلِبته[٧] .

وتتجلى في مؤلفـاته روحُ النَّصَفَـةِ والنزاهة وحب الحقيقة . وكان حريصاً على توثيق نقوله ، وذكر مصادره ، ليكون القارئُ على بيّنة مما بين يديه . وقد بلغ عددُ المصـادر التي رجع إليها في تأليف كتابه (أعيان

---

(٥) معادن الجواهر (دمشق – ١٣٥١هـ) ٣ : ٤٠٣ .

(٦) أعيـان الشيعـة ١٠ : ٣٧١ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٢٧ : ٦٢٣ .

(٧) الرحلة العراقية الإيرانية (بيروت – ١٩٥٤م) ، رحلات السيد محسن الأمين (بيروت – دار الغدير) ، معادن الجواهر ٢ : ٢٨٩ – ٣٤٣ ، أعيـان الشيعـة ١٠ : ٣٦٩ – ٣٧٠ ، ٣٧٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشيعة) ثلاثةً وتسعين وثلاثَ مئة مصدر[٨] .

وتقديراً لمكانته العلمية السامية ، وما قام به من جليل الأعمال والمآثر فقد اختاره أعضاءُ المجمع العلمي العربي بدمشق زميلاً لهم ، فانضمّ إلى مجمع الخالدين سنة ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) ، وشارك زملاءه في أعمال المجمع ، وآزرهم في مهمتهم ، وكان نعم العونُ والعضد ، حتى اختاره اللهُ إلى جواره سنة ١٣٧١هـ (١٩٥٢م)[٩] .

لقد كان ، رحمه الله ، من أولئك العلماء الأعلام الذين لا يقصرون جهودهم على علم واحد ، بل يمدون من آفاق معرفتهم لتشمل أنواعاً شتى من العلوم ، فبرع ، رحمه الله ، في العلوم الدينية ، واتسع في قراءة التاريخ وعلم الرجال والأدب ، وعُني باللغة وأتقن علوم العربية ، ورُزق حافظة قوية ، أسعفته في حفظ الكثير من مختار الشعر ، وبليغ النثر . وألَّف فأكثر ونوَّع . ويكفي أن نشير إلى كتاب أعيان الشيعة ليدرك القارئ دائرة المعارف الواسعة التي كان ، رحمه الله ، يجول في رحابها ، ويجني من ثمارها[١٠] .

* * *

ليس من همي أن أتقصَّى جوانب نشاط السيد الأمين ، فذلك فوق الوسع والطاقة . وإنما أنا قاصر كلمتي على الجانب الأدبي .

كان طالبُ العلم ، كما قصّ علينا السيد الأمين في سيرة حياته ، يبدأ بختم القرآن الكريم ، وتعلُّم الكتابة ، ثم يجوّد الخط ، ويقرأ كتب

---

(٨) أعيان الشيعة ١ : ٢٠٩ ـ ٢١٨ .

(٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج١٧ : ٥٥٠ ـ ٥٥١ ، مج٢٩ : ٤٤٢ ـ ٤٥٨ .

(١٠) انظر ما كتبه الأستاذ سليمان ظاهر في أعيان الشيعة ٧ : ١٨٧ ، وفي مقدمة الرحلة العراقية الإيرانية (بيروت ـ ١٩٥٤م) : ٥ ـ ١٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النحو متدرجاً من الآجرومية إلى شرح قطر الندى وبلّ الصدى لابن هشام ، إلى شرح ابن الناظم على ألفيه ابن مالك ، إلى ما فوقها من كتب ، مثل شرح الرضي على الكافية ، والتصريح على التوضيح للشيخ خالد ، ثم يضم إلى ذلك دراسة علوم أخرى مثل قراءة المعالم في أصول الفقه ، والمطول في البلاغة ، وما يختاره المدرس من كتب الفقه والمنطق والأدب وسواها . وعمادُ الدراسة في ذلك الحفظُ غيباً في المتون خاصة .

ويحدثنا السيد الأمين أن أول ديوان شعر قرأه كان ديوان أبي فراس الحمداني ، وأنه حفظ كثيراً منه . وتدلُّنا آثار السيد الأمين على تمكنه من ناصية اللغة ، ومقدرته المبكرة على فهم أساليب العربية ، قد أوتي الحافظة القوية ، والموهبة المسعفة ، والذكاء اللمّاح . وظهر تفوقُه على أقرانه وأنداده ، وكان يتفطّن إلى ما لا يتفطن له سواه : مرّ ببيروت سنة ١٣٠٨هـ في طريقه إلى النجف ، وكان في الرابعة والعشرين من عمره ، فاطلع في مكتبة الشيخ أحمد عباس على كراسة من ديوان الشريف الرضي الذي كان يُطبع آنذاك ، فنبه على الخطأ الذي وقع في تفسير بيت الشريف :

وموقفٍ صافحت أيدي الرجال به طلى الرجال على الخرصان من كَثَبِ

ودلّ على الصواب[١١] . وطالما فعل ذلك .

ومكّنه تفوقه من التأليف المبكر ، وقول الشعر ، فكتب حاشية على المطول ، وحاشية على المعالم ، وكتاباً في النحو[١٢] . وقد ضمَّ ديوانُ الرحيق المختوم بجزأيه جُلَّ شعر السيد الأمين ، وكثيرٌ منه مما نظمه في أيام الشباب . وفيه قصائدُ قالها سنتي ١٣٠٣هـ و١٣٠٤هـ يرثي بها أقرباء وعلماء فجع بهم[١٣] .

---

(١١) أعيان الشيعة ١٠ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩ .

(١٢) أعيان الشيعة : ١٠ : ٣٤٣/ع١ .

(١٣) الرحيق المختوم ١ : ١٨٥ ـ ١٩٠ ، ٢٠١ ـ ٢٠٤ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ، ٢٠٩ ـ ٢١٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يمضي في شعره على سنن السابقين من الشعراء ، يجاريهم في أغراضهم ومعانيهم وصورهم وأساليبهم . وقد نهج نهجهم فيما سلكوه من التشطير ، والتخميس ، والتوشيح ، والتذييل ، وقول القصائد المحبوكات ، والمعميات والألغاز ، وفن التأريخ ، والملح ، والمعارضة .

وتعدّدت الأغراض التي طرقها ، وقد نسقها في الجزء الأول من ديوان : الرحيق المختوم في ثمانية عشر باباً منها المديح والغزل والرثاء والحماسة والصفات والحنين إلى الأهل والأوطان .

وجلُّ مدائح السيد الأمين قالها في مدح النبي ﷺ والإمام علي رضوان الله عليه ، والعترة الطاهرين . وإذا كان السيد محسن الأمين قد أفرد قصائد للغزل والنسيب فانه قد افتتح جملة من قصائده الأخرى ولا سيما المديح بالغزل على غرار الشعراء السابقين .

ويطالعك في غزله أحياناً شيء من نفحات حجازيات الشريف الرضي . يقول :

يا سائرين تيمموا نجدا ... تخِدُ المطيُّ بظعنهم وَخْدا[١٤]
حَطُّوا الرحالَ على مرابعها ... واستنشقوا من تربها الندّا
يا ساكني نجدٍ سألتكمُ ... بالعهد أن ترعَوْا لنا العهدا
سَقْياً لأيام مضين بها ... قد كان عيشي ناعماً رغدا
وبأيمن العلمين ريمُ فلاً ... قد واصل الهجرانَ والصدّا

وساير السيد الأمين شعراء العصر ، فوصف في شعره المخترعات الحديثة . يقول في مطلع قصيدة له في مدح نبيّ الرحمة محمد ﷺ يصف القطار الذي امتطاه لزيارة الرسول في المدينة ، وتخلّص من الوصف إلى المديح ، وهو ما يسمّى عند علماء البديع حسن التخلص :

---

(١٤) الرحيق المختوم ١ : ٩٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سرت بنا تقطع الغيطان والأَكَما تسابق الريح مهما هبّ أو نسما[١٥]
بزلاء ليس لها رحل ولا قتب ولا زمام ولا شدُّوا لها حزما
من السوابق في المضمار ما حملت سرجاً ولا مضغت في دهرها اللجما
تخبُّ طوراً وطوراً سيرها رَمَلٌ وتارة تسبق السيل الذي دهما

وزاره الشيب مبكراً ، وظهر في مفرقه ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره ، فهاجه للقول ، فقال :

دهى مفرقي بالشيب صرف زماني وما تم لي عشر مضت وثماني[١٦]
وأسرع فيَّ الشيبُ قبل أوانه ومن ذا الذي يبقى على الحدثانِ

وقال :

أرى نوب الزمان تعاورتني ونالت قصدها بالرغم مني
وشيّب مفرقي صرفُ الليالي وما أوفت على العشرين سني

والشطر الأخير مستعار من قول أبي تمام وقد دهاه ما دهى السيد الأمين فقال :

وما أوفت على العشرين سني فما عذرُ المشيب إلى عذاري

وحافظةُ السيد الأمين القوية كانت ترفده وتمده دائماً . وقد ألف أن يضمن شعره ونثره قطوفاً من أشعار السابقين ونثرهم ، ومأثور الحكم والأمثال . بله آيات الذكر الحكيم ، وأقوال الرسول الكريم .

ومما قاله في الحنين إلى دمشق :

خان الزمان وقدماً كان خوانا فشطَّ منزل من نهوى ويهوانا[١٧]
أحبابنا بدمشق لا أُغَبَّكم فيضُ السحائب هطّالاً وهتّانا

---

(١٥) الرحيق المختوم ١ : ٤ ـ ٥ ، وانظر أيضاً ١ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ .
(١٦) الرحيق المختوم : ١ : ١٠٥ .
(١٧) معادن الجواهر ٣ : ٤٣٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إنْ يَنْأَ ربعُكم عن ربعنا فلكم في القلب ربعٌ غدوتم فيه سُكّانا
ذكراكمُ في محاني القلب ثابتةٌ فهل نسيتم لبعد العهد ذكرانا

وكان السيد الأمين يباهي بأشعاره ويفاخر ، فعل الشعراء المتقدمين ، فيقول :

إليك من غرر الأقوال قافيةً كالتبر منسبكاً والدرِّ منتظما[١٨]
تُعيي فصاحتها قُسّاً وتتركُ مِنْ ورائها كلَّ ذي نثرٍ ومن نظما

ويقول أيضاً :

في الشعر كم لي قوافٍ من كلّ غرّاء بِكْرِ[١٩]
شواردٍ سائراتٍ في كل سهلٍ ووعر
يشدو بها الركبُ حدواً في كل بيداء قَفْر
تسري مسير الدراري في كل برّ وبحر

لقد كانت صور السيد الأمين وأخيلته ومعانيه تجول في رياض الشعر الموروث . أما أسلوبه فكان أقرب إلى الجزالة في أغراض الفخر والحماسة والمديح ، ويرقّ في غرض النسيب . وقد طاوعته العبارة ، وأسلست له قيادها ، وواتته الألفاظ لسعة محفوظه واقتداره ،(تنثال عليه الكلمات يختار منها ما يروقه . وقد رضي عن مذهبه في الشعر ، وكأنما كان يردّد لنفسه :

أتيتُ بمنطق العرب الأصيلِ وكان بقدر ما عاينتُ قيلي

أما نثره فكان السهل القريب المتناول ، تقرأ سيرته التي حبّرها فتحسّ أنه قريب منك يقصّ عليك بأسلوب سلس ، لا تعمّل فيه ولا تكلف . لقد كانت غايته الأولى في كتبه ورسائله التعليم والإفهام ، فاختار العبارة الواضحة السهلة . وقد هيّأ له هذا الأسلوب انتشار كتبه وتداولها بين فئات

---

(١٨) الرحيق المختوم ١ : ٦ .
(١٩) معادن الجواهر ٣ : ٤٠٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مختلفة ، كل فئة منها تجد فيها طلبتها ومرادها .

ويضطرنا ضيق المقام إلى إيجاز القول في منظوم السيد الأمين ومنثوره ، ومجال القول ذو سعة ، لننتقل إلى الحديث عن مؤلفاته الأدبية .

لقد بدأ السيد الأمين الكتابة في الأدب وعلومه في مطلع شبابه ، وكان حريصاً على اقتناص الفوائد يختارها ويجمعها . وقد أشار إلى ذلك في مطلع كتابه : معادن الجواهر ونزهة الخواطر الذي حشاه فوائد مصطفاة ، ولآلئ نفيسة تدل على الميدان الرحب من الثقافات المنوعة التي طوّف السيد في جنباتها ،يجتبي ويجني الخيار منها .

وقد قصر الجزء الثالث من كتابه على الشعر والأدب ، فدل ما جمعه واختاره في هذا الجزء على ما يتمتع به من مقدرة فائقة في تذوق الكلام ونقده ، ومن اطلاع واسع ومعرفة عميقة بتراثنا الأدبي .

وتبدت طاقات السيد الأمين الأدبية ، وذوقه الناقد ، وحسه المرهف في كتابه أعيان الشيعة حين تصدى لترجمة كبار الأدباء من الشعراء والكتاب .

كان يرى فرضاً واجباً أن يحيط بأخبار الشاعر أو الكاتب الإحاطة البالغة ، فيبحث وينقّر في الكتب المطبوعة والمخطوطة ليعود بزاد وفير . ثم يعرض ما جمع على محك النقد ، فيوازن بين الأخبار ليدلّ على المتناقض منها ، وينفي المتهافت الضعيف . ويعودُ إلى ديوان الشاعر وآثار الكاتب يستعين بها في التحقق من صحة الأخبار . وينتقي بعد ذلك مختارات من رائع شعره أو بليغ قوله ، ويذكر ما أخذه النقاد عليه ، ملتزماً النَّصَفَةَ والنزاهة . وهو في كل ذلك لا يتوقف عن تصحيح المحرف وتقويم المصحّف من النصوص التي مسخها النساخ .

كان رحمه الله يطيل في تراجم الأدباء من الشعراء والكتاب منساقاً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بفطرته الأدبية ، وذوقه الناقد ، وانك لتستطيع ان تجتزئ كل ترجمة من تلك التراجم لتفردها بكتاب مستقل ، كترجمة المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي تمام وأبي نواس ودعبل بن علي الخزاعي والصاحب بن عباد .

كانت تلك طريقته في عمله ، يقول في مقدمة ترجمة أبي فراس : « ... وبعد فإني ذاكر في هذه الأوراق ترجمة أحوال الأمير أبي فراس الحمداني .... مما استفدته من أقوال المؤرخين ، وما استنبطته من مجرى الحوادث وقرائن الأحوال ، ومن التأمل وإعمال الفكر في أشعاره وما يستفاد من جملة منها من صفاته ومختلف حالاته ، حسبما أدى إليه بحثي وتنقيبي ، ووصل إليه فهمي ومعرفتي مما أرجو أن أكون أصبت فيه شاكلة الصواب ، مع إيراد نبذ صالحة من شعره المستحسن .... ولا سيما ما عثرت عليه زيادة على ما في ديوانه المبطوع وهو شيءٌ كثير » .

وكان يدرك أنه بذلك قد قدم ما لم يقدم سواه ، وأنه تفرد بما لم يشركه فيه غيره . يقول في مقدمة ترجمة أبي نواس : « ... وبعد فهذه سيرة الشاعر الشهير أبي نواس الحسن بن هانئ الحكمي .... تامة مستوفاة مستقصاة من جميع نواحيها بما لم يُسبق إليه . » .

وبعد ، فلقد كنت وأنا أقرأ سيرة السيد محسن الأمين ، تطالعني صورته المحببة بعلمه الغزير ، وسعة أفقه ، وتسامحه ، ومناقبه ، وتواضعه الجم يستقبل قاصديه لا فرق بين كبير وصغير ، ويزودهم بنصحه وإرشاده ، قد نذر نفسه لخدمة مجتمعه ، وهدايته ، ورَفَعَ منارةَ العلم يبدد بها ظلمات الجهل وغشاوة التخلف ، ودعا إلى الوحدة ونبذ الخلاف ، لم يبخل بتضحية ، وعزف عن المغريات ، ولم تغرّه مظاهر الدنيا البراقة ، فكان المؤمن المتمسك بالمبدأ والقيم والمثل ، وكان القدوة الحسنة الطيبة في خلقه ومسلكه وعلمه ونزاهته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد كنت وأنا أقرأ أردّد لنفسي قول رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بأحبكم إليَّ وأقربكم مني مجالسَ يوم القيامة ؟ أحاسنُكم أخلاقاً ، الموطّؤون أكنافاً ، الذين يألفون ويُؤلفون » .

رحمه الله الرحمة الواسعة ، وأسكنه فسيح جنانه ، فلقد كان الحسن الأخلاق ، الموطأ الأكناف ، يألف ويُؤلف ، فعل المؤمنين الأبرار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net